

### المخطوطات ومحتوياتها

كما أسلفت تم التنقيب واكتشاف نحو ٣٠٠ كهف في قمران بيد أن أحد عشر كهفًا فقط هي التي أغلت مخطوطات كاملة وآلاف القطع من المخطوطات التي يعتقد أنها تمثل بل تضم مخطوطات مختلفة. وبعد الفحص اتضح أن الأنواع المختلفة من المخطوطات الكاملة تتضمن بالدرجة الأولى كتابات من الكتاب المقدس ومخطوطات أبوكريفية (أسفار غير معترف بها)، كتابات مزورة منسوبة للعهد القديم، كتابات خاصة بالطائفة، شروح وتفسير لأسفار الكتاب المقدس. وربما كانت هناك عشرة مخطوطات فقط هي التي وجدت في حالة ممتازة وكاملة؛ وهناك بعض النصوص التي لم تمثل إلا بقطعة واحدة فقط بين هذه الآلاف من القطع.

ومن نوافل القول أن بعض الأسفار التي اكتشفت في قمران كانت في أكثر من صيغة مثل سفر عيساياه. وبعض الصيغ تمثل الصيغة المعيارية القياسية (المازورية) أى النص العبرى التقليدى كما ورد عن السلف على نحو ما هو موجود في أسفار موسى السامرية، وبعض تلك المخطوطات على قلتها تقترب زمنًا من الأصول التي نقلت عنها مثل سفر دانييل الذى يعتقد أنه كتب سنة ١٦٥ ق.م. وبعض الأسفار كتب بصيغة غير معروفة لدارسى وباحثى الكتاب المقدس. وكما سنرى في طول هذا الكتاب وعرضه أن مكتبة قمران تقدم معلومات شديدة الأهمية في مجالات عديدة وليس فقط في الدراسات العبرية ودراسات الكتاب المقدس وإنما أيضًا في التاريخ وعلم الكتابة واللغات والاجتماع والآثار وما إليها. لقد أمدتنا كتابات الطائفة المدنية بمعلومات هامة أيضًا لها شأنها سدت ثغرات عديدة في نسج المعرفة الإنسانية؛ وخاصة فيما يتعلق بالفترة ما بين ١٥٠ ق.م - ٧٠ م.

لقد قدمت كهوف وادى قمران نحو [٤٠٠ - ٨٠٠ - ٩٠٠ - ١٠٠٠] مخطوطة كاملة بيد أن عشرة منها فقط هي التى وجدت فى حالة ممتازة، وكما أسلفت كانت هناك آلاف القطع المخطوطة، وبعض النصوص لم تمثل إلا بقطعة واحدة.

ويرى الثقة أن كهف رقم ٤ يمثل المكتبة الأم للطائفة وحيث أغل الجزء الأكبر من المخطوطات الكاملة والقطع المخطوطة؛ وحيث لم يعثر الأثريون هنا على جرار بل وضعت المخطوطات على مصاطب، وحيث توحى حالة اللفافات المخطوطات والقطع المخطوطة، أنها كانت تستخدم كثيرا وأنها مخطوطات أصلية قديمة ويرى بعض الثقة أن وجود شرائح طويلة من بعض اللفافات يشير إلى إساءة استخدام الكهوف فى العصور القديمة. كما يذهب هؤلاء الثقة إلى أن الكهف ١، الكهف ٣ كان يستخدمان لإخفاء المخطوطات والأشياء الثمينة، ويرجحون أن بقية الكهوف التى عثر فيها على المخطوطات كانت تستخدم كخلايا للرهبان الأفراد وليست للاستخدام الجماعى وحيث وجدت المخطوطات والأدوات المنزلية على نفس الحالة التى تركتها عليها. وأقدم فيما يلى مخططاً لأنواع المخطوطات والقطع المخطوطة التى عثر عليها ريشما أعود إليها بالتفصيل فى الفصول القادمة. وحيث يقسم الثقة تلك المخطوطات إلى ست فئات: مخطوطات الكتاب المقدس - الأبوكريفا والأسفار غير المعترف بها - كتابات مزورة شبيهة بالعهد القديم - كتابات تخص الطائفة - شروح وتفسير الكتاب المقدس وأسفاره - كتابات أخرى متفرقة.

### أولاً: مخطوطات الكتاب المقدس:

أ- ٢٥٪ من المخطوطات التى عثر عليها تحتوى على نسخ من أسفار الكتاب المقدس.

ب- جميع أسفار الكتاب المقدس وجدت منها نسخ فى مخطوطات قمران ما عدا سفر (إيثر). وكما يقول الأثريون لقد فشل سفر إثير فى أن يظهر بين مخطوطات البحر الميت، بينما ظهرت قطع من سفر تثنية الاشتراع، عيسايا، الأنبياء الأصاغر، الزامير بأكثر من عشر نسخ لكل منها.

ج- بعض نسخ أسفار الكتاب المقدس تقترب زمنًا نسبيًا من الأصول التي أخذت عنها ويمثلها بأناقة شديدة. ١- مخطوطة سفر دانييل من الكهف ٤ والذي يبعد نصف قرن فقط عن الأصل الذي يعتقد أنه وضع ١٦٥ ق.م تقريبًا ٢- مخطوطة الكنسيين Ecclesiastes ق.م).

د- في حالة أسفار موسى الخمسة لوحظ اتباع النص المعياري المازورى في غالبية القطع التي وصلتنا. وربما كان الاستثناء (والذي يقترب من النص العبرى الموجود في الترجمة السبعينية) هو الموجود في نسخة من سفر الخروج، نسخة من سفر الأعداد ولفافة صغيرة تحتوى على أنشودة موسى (الخروج ١٥). وفي نسخة أخرى من سفر الخروج نجد أنفسنا أمام النص الموجود في أسفار موسى السامرية.

هـ- وجدت قطع من سفر (الأنبياء السابقون) في أربعة من الكهوف الإحدى عشرة ويبدو أنها قد أخذت من نفس النص العبرى الذي ورد في الترجمة السبعينية، وذلك على ما هو شديد الوضوح في مخطوطة صموئيل ١. وهناك نسخة أخرى من مخطوطة صموئيل ترجع إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد؛ ويبدو أنها تتفوق في مكانتها سواء على الترجمة السبعينية أو النص المازورى نفسه.

و- وفيما يتعلق بالأنبياء المتأخرين كان عيساياه هو أوفر الأنبياء حفظًا من حيث عدد النسخ التي وجدت منه، وإن كان الآخرون قد مثلوا تمثيلًا جيدًا أيضًا. وحيث هناك لفاقة كاملة وأخرى غير كاملة وإن كانت كبيرة من سفر عيساياه وجدت في الكهف رقم ١ وإحدى النسخ تسير على الأسس المازورية المعيارية. أما النسخة الكاملة فهي نسخة شعبية. ونمط الترجمة السبعينية موجود في نسخة واحدة: سفر جيريمياه. والنص هنا أقل بالثمن من النص المازورى. وقد أكد الباحثون أن غالبية مخطوطات سفر الأنبياء المتأخرين تتبع التقاليد المازورية.

ز- المخطوط التي كتب بها سفر أيوب هو الخط العبرى المربع العادى والخط العبرى القديم (الباليو) والخط الآرامى التقليدى. والنسخ الثلاث التي وصلتنا كلها عبارة عن قطع. والترجمة الآرامية لسفر أيوب لها أهمية خاصة إذ يبدو أنها الترجمة التي أداها الرباينى جماليل الأول. ويعتقد أنها من بين أقدم الترجمات التي حافظت على الكتابة العبرية.

وهناك ما لا يقل عن دسنة من المخطوطات المقطعة للمزامير. ويبدو أن سفر دانييل كان من بين الأسفار الأكثر قراءة وحيث وجدت منه نسختان في الكهف رقم ١ وأربع نسخ في الكهف رقم ٤ ونسخة في الكهف رقم ٦. وغالبية هذه النسخ تتبع النص المازورى باستثناء بعض الخلافات القليلة الناتجة عن اتباع الترجمة السبعينية.

### ثانياً: الأبوكريفا

الأبوكريفا هي فيما يقال ١٤ سفراً تلحق بالكتاب المقدس العبرى ولا تعترف بها الكنيسة وتذكر المصادر الثقة أن شريعة يهود الاسكندرية تتضمن أسفاراً إضافية معينة وجدت أيضاً في الشعائر والكتابات المقدسة للكنائس الباكرا ولا أصل لها في الكتاب المقدس العبرى الأصيل. ومع ذلك فقد وجد من بين مخطوطات وادى قمران ثلاثة نماذج من أسفار الأبوكريفا هذه: توييت، إكليا ستيكوس (أوبن سيرا)، رسالة جيريمى.

### ثالثاً: الأعمال المزورة أو شبيهة العهد القديم:

هذه الأعمال تقليد لبعض أجزاء العهد القديم ولذلك يطلق عليها الأعمال المزورة أو شبيهة العهد القديم. وقد وجدت في قمران كمية كبيرة من المخطوطات تمثل هذه الفئة. وواحد فقط من هذه الأعمال - سفر اليوبيل - هو الذى وجد بنفس نصوص الترجمة القديمة والتي كانت حتى وقت قريب المصدر الرئيسى لهذه الأعمال. وقد أغلت الكهوف ١، ٢، ٤ قطعاً تمثل على الاقل عشر نسخ من هذا العمل (اليوبيل).

ويعتبر سفر إينوخ التقليد من الأسفار المخطوطة في هذه الفئة وحيث وجدت منه قطع في الكهف ٤ تمثل عشرة مخطوطات.

ولا يوجد أى أثر في مخطوطات الكهوف ل (عهد البطاركة الاثنا عشر) المكتوب بالعبرية أو الآرامية، والذى اعتبره بعض الباحثين أساس النص اليونانى الذى بين أيدينا الآن وإن كانت هناك بعض قطع أخرى تساعدنا في التعرف على بعض المصادر المستخدمة.

ولقد عثر في الكهف رقم ١ على سفر تقليد لسفر الخروج. وتذكر المصادر أنه آخر اللقافات التي تم فضها.

ومن بين الأعمال المزورة أو المقلدة التي وجدت في قمران نستطيع أن نميز:

١- سفر تقليد جيريمياه ولكنه فاقد الصلة أو ذو صلة واهية ببقية الأعمال المنسوبة إلى هذا النبي أو تلك المنسوبة إلى سكرتيره (باروخ).

٢- مزامير حوشوا.

٣- رؤيا أمرام والد موسى وقارون.

٤- بدايات لفافة صغيرة بالأرامية عنوانها (صلاة نابونيدوس) والتي يبدو أنها كانت المصدر الذي استخدمه - سواء في النص المكتوب أو الشفوي - مؤلف سفر دانييل عندما تحدث عن مرض (نيبوخ أدنزار).

#### وإبعاً: الكتابات الطائفية:

ويقصد بها تلك الكتابات التي تتعلق بالطائفة نفسها وتنظيمها وأهدافها وهي كثيرة ومثلة تمثيلاً جيداً في مخطوطات قمران وتضم:

أ- "دليل النظام" أو ما يمكن أن نطلق عليه دليل عمل الجماعة أو اللائحة التي تنظم عمل الطائفة، وقد وجدت منه نسخ كاملة في الكهف الأول والعاشر، كما وجدت منه قطع مخطوطة في الكهف الرابع.

ب- وثيقة دمشق. وقد وجدت منها نسخ كاملة في الكهوف ٤، ٥، ٦. وكانت هذه الوثيقة قد عرفت قبل اكتشافها في الكهوف إذ عثر على نسختين منها في جنيزة القاهرة في العقد الثاني من القرن العشرين وهي تقع في قسمين، القسم الأول عبارة عن تعليق على خطة الله (وهذا الكلام ليس من عندي إنما هو من المصادر) للخلاص، والقسم الثاني يضم القواعد اللازمة لحياة أعضاء الجماعة في الدير الجديد في معسكراتهم في أرض دمشق. وإن كانت نسختا القاهرة تقسم الوثيقة إلى قسمين فإن نسخ قمران والتي يمكن تأريخ أقدمها بما بين ٧٥ ق.م و ٥٠ ق.م تضم القسمين في نص واحد متصل.

ج- "حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام". وجد هذا المخطوط بداية في الكهف الأول، وبعد ذلك عثر في الكهف الرابع على قطع من مخطوطة الحرب تمثل ثلاث نسخ مختلفة من نفس النص، مع مخطوطتين آخريين من نفس الكهف إحداها في حالة جيدة تؤكد وجود نص مختلف من مخطوطة الحرب.

د- تراتيل أو ترانيم تقديم الشكر. وهي لفافة طويلة جاد بها الكهف رقم ١ وهي في حالة سيئة من التمزق والتهرؤ... ومعظم هذه التراتيل تبدأ بعبارة (أشكرك يا الله).

### خامساً: شروح وتفسير أسفار الكتاب المقدس:

هذه الشروح والتفسير هي أساساً من أعمال الطائفة؛ وهي ذات نمط موحد وحيث يتم نسخ نص أو متن السفر ثم يتم التعليق عليه وشرحه وتفسيره بعد ذلك آية بآية ويقدم لكل تعليق أو شرح بصيغة معينة مثل (وتفسير ذلك هو:-).

وهناك ثلاثة أنواع من تفسير الكتاب المقدس وصلت إلينا والفصل بينها هو فصل تعسفي وإن كان أحد الأنواع الثلاثة يغلب على تلك التفسير:

١- تفسير سفر: حبقوق، ميكا، المزامير، التفسير هنا يتم على ضوء أو في علاقته بتاريخ الطائفة.

٢- تفسير ناحوم هنا أيضًا يتصل باهتمامات الطائفة ولكن في علاقته ببعض الجماعات العرقية في فلسطين ودورها في الأحداث الجارية.

٣- تفسير وتعليقات نص (عيسايا)، يلاحظ أن تفسير كلمات هذا النبي تتم على ضوء الأمور الآخروية.

وهناك وثائق أخرى تتضمن اقتباسات وفقرات قصيرة من سفر الخروج، صموئيل ٢، عيسايا، المزامير، عاموس، دانييل:

١- يبدأ الاقتباس عادة بصيغة "كما هو مكتوب في سفر عيسايا، دانييل..."

٢- وكل المخطوطات التي تحمل تفسير وشرحًا وتعليقات ترجع لفترات متأخرة لمجتمع قمران.

٣- لا يوجد من أي عمل في هذا الفئة أكثر من نسخة.

## سادساً؛ كتابات أخرى وجدت في قمران:

وجدت كتابات أخرى متنوعة المجالات خارج الفئات الخمس السابقة والتي يمكن حصرها على النحو الآتي:

أ- أغل الكهف رقم ٤ الكثير من القطع المخطوطة التي تحتوى على تراتيل وترانيم وشعائر.

ب- كما أغل نفس الكهف سلسلة من المخطوطات يطلق عليها بالعبرية (مشاروت) والتي يمكن ترجمتها بالمساقات أو المسارات والتي تصف بالتفصيل تداول خدمة العائلات القسية في "المعبد" طبقاً للتقويم الشمسى ومقابلها بالتقويم القمري.

ج- وجدت مخطوطة بالعبرية يمكن عنونها (وصف القدس السماوية) أو المقدسة وهي تحتوى على رؤية شديدة التفصيل للمدينة المقدسة والمعبد، ربما يكون قد تم استقاؤها من الفصول الأخيرة في سفر حزقييل.

د- وهناك قطعتان مخطوطتان نحتويان على أعمدة ذات علامات لزودياك، هذه العلامات موزعة على أيام الشهر ويعقب ذلك تنبؤات بما يأتى به الرعد.

ويرى بعض الثقة أن من الأشياء الممتعة في اكتشافات قمران أن المخطوطات في الأعم الأغلب كان محفوظة في جرار من فخار من طين. وعلى الرغم من أن الجرار التي خرجت من الكهف رقم ١ كانت مكسرة إلى حد كبير ربما بفعل همجية البدو في التنقيب، إلا أن إعادة تكوين هذه الجرار من القطع المتناثرة في الموقع كشفت عن أن هذه الجرار كانت أسطوانية الشكل وتبلغ في المتوسط قدمين ارتفاعاً وقدما واحداً عرضاً (قطراً). وكان اكتشاف إحدى الجرار السليمة في خربة قمران في حالة سليمة تماماً واكتشاف عشرات منها بعد ذلك في الكهوف القريبة قد أكد أن هذه الجرار كانت تستخدم في تخزين المواد المستخدمة في الحياة اليومية ولم تصمم خصيصاً لوضع لفاقات المخطوطات على عكس ما كان الاعتقاد السائد قبل ذلك.

وكانت الجرار من هذا النوع قد استخدمت منذ قرون قبل الميلاد لتخزين دائرة

واسعة من المواد؛ ويرى الثقة أن هذا التقليد قد نبع في مصر القديمة منذ المملكة القديمة أى بين ٢٧٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م، عندما أخذ المحنطون في وضع الأعضاء الحيوية من جسم الميت في جرار كانوبية، هذه الجرار كانت توضع بدورها إلى جوار المومياء في المدفن.

وقد غدا من التقليد في الشرق الأدنى القديم تخزين الأشياء الثمينة في مثل هذه الحاويات التي كانت تقوم مقام خزانات الأمانات في الوقت الحاضر. ويسجل سفر جيريمايا أن الأشياء الثمينة المشتراة بالقرب من القدس كان يغلق عليها بمثل هذه الطريقة. وكانت اللقافات أيضًا التي تحوى الأعمال الفكرية تحتزن أيضًا في جرار ثم يغلق عليها بغطاء أيضًا من طين وقد امتد هذا التقليد بالقطع في الحقبة المسيحية لبعض الوقت.

وكان هؤلاء الذين أودعوا لقاغات قمران في تلك الجرار قد اتبعوا بالضرورة تقليدًا قديمًا يقضى بتغليف اللقاغات بعدة طبقات من قماش محلى قبل إغلاق الجرار. ويبدو أنه كان هناك نوع من زيت السيدار أو أية مواد حافظة أخرى كان يستخدم في عميلة تخزين اللقاغات على نحو ما نجده في حالة اللقاغات الكتانية الموجودة حول لقاغات كهف قمران الأول.

ومهما كانت الاحتياطات التي أتخذها الأقدمون في حفظ وصيانة (مخطوطات البحر الميت) إلا أنهم لم يتوقعوا أن تصل إلينا في الألفية الثانية. وربما كانت الأحوال المادية داخل الكهوف مختلفة تمامًا عن تلك الموجودة في أعماق غرف الدفن في قلب الأهرامات أو السطوح الصخرية في وادى النيل. وكما أسلفت فلقد أغلت معظم الكهوف التي تم التنقيب فيها بقايا سكنى بشرية وحيوانية من فترات متباينة تمامًا وواسعة. ومن المؤكد أنه عبر تلك الفترات حدثت تدميرات من جانب هؤلاء البشر والحيوانات إلى جانب ما أحدثته الزلازل والهزات الأرضية من تساقط للصخور. ولقد كانت عمليات الحفر والاكتشاف والتنقيب برمتها واحدة من أكثر المشروعات صعوبة وخطراً. ولقد أضاف هؤلاء الذين حققوا النجاح للمشروع للدراسات الإنسانية ودراسات الكتاب المقدس شيئاً كبيراً؛ وسيبقى عالم البحث العلمى مدينا لهم بالشيء الكثير لعقود كثيرة قادمة.

ولقد كان الجهد البدني الذي بذل لاكتشاف قطع المخطوطات وانتشالها من بين التراب والغبار عملاً شديداً التعقيد باستمرار وخاصة مع هشاشة المخطوطات نفسها. ذلك أنه عندما تم حفر وتنقيب الكهف رقم ١ وقعت العملية في ظل ظروف بالغة الصعوبة تطلبت فرشاً من شعر الجمل فقط في كشف المخطوطات حتى لا يحدث لها المزيد من التلف. وعندما تم كشف مختلف المواقع كان لا بد من حمل قطع المخطوطات بعناية شديدة إلى متحف فلسطين حيث تم إعدادها إعداداً واعياً للمزيد من الفحص والاختبار. وفي كثير من الأحيان كانت المخطوطات تفرغ من الهيدرات وتغطى بطبقة من التراب الأبيض الناعم، وقبل الفحص والاختبار كان لا بد من إعادة الهيدرات ثم تنظيف جيداً وهي جميعاً إجراءات تتطلب قدرًا كبيرًا من الحيلة والحذر.

ويعد تنظيف قطع المخطوطات التي تم اكتشافها من كل المواقع يصير تصويرها تصويرًا فوتوغرافيًا وتصنف حسب اللغة والمحتوى. ولما كان من السهل نسبيًا تمييز مخطوطات الكتاب المقدس وقطعه، إلا أن المخطوطات غير المقدسة كانت تمثل صعوبات بالغة. فنصوص الكتاب المقدس معروفة، بينما النصوص خارج الكتاب المقدس كان لا بد من معارضتها بنسخ حديثة يمكن تمييزها. وبمجرد تمييز قطع المخطوطات كانت توضع بين لوحين من الزجاج في قسم اللقافات بالمتحف، ومع المزيد من اكتشافات قطع البردي أو الجلود أصبح من السهل تجميع قطع المخطوط الواحد معًا.

ومن نوافل القول أن هذا العمل هو بالضرورة بطيء وعمل وحيث كان لا بد من بذل جهد ضخم ومرهق قبل تحقيق ولو قدر قليل من النجاح في تجميع قطع المخطوط الواحد. وكانت العملية كلها تلقى عبئًا بدنيًا وضغوطًا عقلية على هؤلاء الذين يقومون بها. وهي حقيقة لا يحيط بها إلا فريق الباحثين الدولي الذي نجشتم عناء جمع ونشر تلك المخطوطات.

وثمة مشكلة أساسية نبعث بالضرورة عند تحديد المخطوطات الكبرى التي أغلقتها كهوف قمران حيث وجدت أساليب وصيغ مختلفة في نسخ تلك

المخطوطات. ولو أنه كانت هناك نسخة واحدة من تلك المخطوطة لكان من السهل وصفها بعنوانها والاشارة إليها بذلك العنوان؛ بينما في حالة تعدد النسخ كان لا بد من وضع نظام لتحديد كل نسخة ووصفها وإعطائها وسيمة للإشارة إليها. وكان هذا النظام يربط الوثيقة الواحدة بالموقع الذى وجدت فيه. وعلى سبيل المثال فإن لفافة عيساياه التى قام بشرائها دير سانت مارك الأرثوذكسى فى القدس وسمت بـ (IQISa) وهكذا تم تمييزها عن قطعة لفافة عيساياه التى اشتراها البروفيسور سوكنيك التى أتمتحت وسيمة (IQISb) ودليل النظام أو قواعد المجتمع اتخذ وسيمة (IQS) فى حين اتخذ شرح حبقوق (IQpHab). وقد ميزت لفافة تقديم الشكر بالوسيمة (IQH) ووثيقة الحرب تم تمييزها بالوسيمة (IQM).

وكما ألمعت سريعاً من قبل أغلت الحفريات التى جرت فى مطلع ١٩٤٩ على يد الفريق الرسمى ما يربو على ستائة قطعة مخطوطة كلها جاءت من الكهف رقم ١ بعد قدر كبير من العمل الشاق. وقد تم إنقاذ هذه الرقوق من فوضى التنقيب التى أحدثها البدو الذين كانوا يصطادون الكنوز بطريقتهم الخاصة فى هذا الكهف. وقد تضمنت هذه القطع أقساماً صغيرة من اللغافات التى كانت قد اكتشفت سنة ١٩٤٧ حين الكشف الأول لهذا الكهف. وكان التعرف على العلاقات بين تلك القطع الصغيرة والمخطوطات الأصلية لها قد أضفى الحجية على هذه المخطوطات الأصلية. ومن أسفار الكتاب المقدس التى تمثلت فى تلك القطع الصغيرة: أسفار موسى والقضاة إلى جانب قطع من الكتابات الشرعية وبعض الشروح والتفاسير القليلة.

من بين قطع الرقوق الستائة هذه قطع من أسفار موسى تحتوى على عدة إشارات قصيرة من ليفيتيكوس نسخت بالخط العبرى القديم أو الخط الفينيقى الذى كان قد استخدم لعدة قرون قبل تبني الحرف الآرامى المربع قرب نهاية القرن الثالث قبل الميلاد. وقد أثار تلك الحقيقة عدة تساؤلات حول تاريخ كتابة تلك القطع وانتهاءها وبعد كثير من التحليلات استطاع دى فوكس تحديد تاريخ المخطوطات الأم لتلك القطع بالقرن الرابع قبل الميلاد. أما أولبرايت فقد قرر من

جهة أخرى بأن تلك القطع قد كتبت بما سماه الخط القديم الذى استمر فى الاستخدام طيلة ثلاثة قرون على الأقل.

ومن أعمال الأبوكريفا التى تم كشفها فى حالة متهرئة ومقطعة فى الكهف الأول قمران: سفر نوح، عهد ليفى، سفر اليوبييل. وسفر اليوبييل رغم عدم اعتراف الكنيسة به إلا أن له أهمية خاصة حيث كتب بالعبرية ومن ثم أثار بالضرورة الجدل حول اللغة الأصلية التى كتب بها. ويذكر الثقة أن سفر اليوبييل تم جمعه من مصادر باكرة سابقة عليه وكتبه بالعبرية مؤلف فارسي (Pharisaic) بين ١٥٣ ق.م و ١٠٥ ق.م. ويذكر ثقة آخرون أن الكتاب الأصيل كتب بالأرامية. وأن قطع قمران هذه المكتوبة بالعبرية هى نموذج جيد على (الترجمة بين اللغات السامية). ويخلص باحثون آخرون إلى أن الحكم على اللغة الأصلية للكتاب بناء على قطع المخطوطات التى وصلتنا من (كتاب اليوبييل) من كهف قمران رقم ١ هو حكم تعسفى وعلينا أن نتظر.

وفى ظل هذا الجدل لا بد من الأخذ فى الاعتبار المخطوطات التى استخرجت من كهف قمران ١ على يد رجال قبيلة (طعم الريح) سنة ١٩٤٧ وحيث لم يغفل هذا الكهف بعدهم مخطوطات تقارن فى قيمتها وأهميتها المخطوطات التى استخرجوها منه بداية. ذلك أنه من أهم المخطوطات التى استخرجوها كانت لفافة عيساياه الكبيرة التى نشرتها (المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية). هذه اللفافة كتبت بخط عبرى واضح استغرقت سبعة عشر درجًا (فرسخًا) من الرقوق خيطة معًا ختامًا لختام. وعندما تم فض هذه اللفافة كان طولها ٢٤ قدمًا وعرضها قدمًا واحدًا (٧٢٠ سم × ٣٠ سم).. وقد بلغ متوسط عدد السطور فى العمود الواحد ٢٩ سطرًا؛ وبدلاً من تقسيم النص إلى فصول وآيات كما جرى عليه العمل فى الوقت الحاضر قسمت النبوءة إلى أقسام محددة بوضوح وكل قسم إلى فقرات. وغنى عن القول أن هذا التقسيم يتواكب فى أقسامه الكبرى مع فصول الكتاب المقدس الحديث.

ورغم أن هذه اللفافة كان يتم تداولها بكثرة فى العصور القديمة بحيث تحتاج إلى

ترميم إلا أن التلف محدود والثقوب قليلة للغاية مما جعل ترميم هذه اللقافة أمرًا سهلاً نسبيًا. وقد اختفت تقريباً علامات التسطير. ويبدو أنه عندما خفت الحبر الأصلية تمت إعادة الكتابة عليه في الكلمات غير الواضحة بذاتها. وقد تم تصحيح أخطاء النسخ بالعديد من الطرق وتعدد الأيادي التي قامت بالعمل ووضح في مواضع قليلة من النص. وهناك سلسلة من الرموز الهامشية الغريبة لم نألفها في الكتاب العبري ربما قصد بها تقسيم النبوءة إلى أقسام لأغراض الشعائر أو التكريس.

أما النسخة من سفر (عيسايا) والتي وقعت في حوزة البروفيسور سوكنيك فقد كانت ممزقة مقطعة وتحملت إلى حد كبير مع مرور الوقت ولذلك جرى ترميمها من الخارج بسائل جلدي وكانت في البداية مستعصية على الفرد والفض ومن ثم كان من الصعب تقرير طبيعة محتوياتها وبعد معالجة الموقف وفض اللقافة اتضح أنها تحتوي على قطعة واحدة كبيرة وعدد من القطع الأصغر. وهكذا كان فعل الزمن بحيث لم نستطع أن نقرأ العديد من أعمدة الكتابات المقدسة إلا بعد التصوير الفوتوغرافي بالأشعة تحت الحمراء. وبعد إجراء هذه العملية الدقيقة بات واضحاً أن القطع الصغيرة تشتمل على فقرات من الفصول الأولى للنبوءة بينما الجزء الأكبر من المخطوط ضم الثلث الأخير من سفر (عيسايا) مع وجود بعض الفجوات في النص. وعندما تم جمع القطع على هيئة دروج أو فروخ بلغت القطعتان الصغيرتان عشر بوصات طولاً في ست بوصات عرضاً؛ بينما القطعة الكبرى بلغت ١٨ بوصة طولاً و٨ بوصات عرضاً. وقد لاحظ سوكنيك أن نص لفافتين من عيسايا أقرب في قراءته من النص المازوري في المخطوطات المتأخرة على عكس نسخة كبير الأساقفة صموئيل.

تذكر المصادر أن أجمل المخطوطات وأوضحها خطأ والتي أغلها كهف قمران رقم ١ هو شرح سفر حبقوق وحيث يشتمل هذا السفر على قطعتين من الرقوق مخاطبتين معاً ويبلغ الطول خمسة أقدام والعرض سبع بوصات وهناك آثار تسطير للسطور والأعمدة واضحة على سطح الدروج وقد كتبت الحروف فوق السطور كما هو الحال في سائر المخطوطات. ولسوء الحظ كان هناك تحلل أو تلف أصاب

الجلد من أسفل إلى أعلى بطول اللقافة مما أسفر عن طمس بعض السطور من كل عمود. وهناك تأكل في بداية النض ولكن لم يصب إلا عمودًا واحدًا ويبدو أن الناسخ كان ماهرًا بحيث لم يخلف وراءه إلا تصحيحات قليلة في المخطوط. وكانت حروفه أكبر نسبيًا من حروف نسخة عيساياة الكبيرة ولأن الحبر قاوم الزمن ولم يتحلل عبر القرون فقد جاء الخط ثقیلاً واضحاً وجعل القراءة سهلة نسبياً. ولم يرد في حقوق إلا الفصلان الأولان على نحو ما وجد في النص المازورى، ربما لأن الفصل الثالث - الذى هو في حقيقة الأمر مزبور - لم يكن مناسباً في السياق الذى وضع فيه شرح حقوق. وكما ألمت كانت الطريقة التى اتبعها الشارح تقتضى أقساماً قصيرة من النبوءة ويأتى الشرح عقب كل فقرة على ضوء تاريخ الطائفة التى نبع منها التفسير.

ويبدو أن شرح حقوق يقسم النص المازورى من حقوق إلى خمسة أقسام كبرى على النحو الآتى:

- ١ - عدم العدالة الاجتماعية والدينية.
- ٢ - ظلم الأمة على يد قوة خارجية.
- ٣ - المعلم المستقيم وأتباعه.
- ٤ - الكاهن الشرير وحزبه.
- ٥ - عقاب الله للوثنيين.

وكما أشرت من قبل فإنه عقب إيراد النص الوارد في حقوق يبدأ التفسير بعبارة (وتفسيره هو...) أو ما شابه ذلك من عبارات. ولم يكن الهدف من التفسير هو شرح أو استخلاص المعنى الوارد في الكتاب المقدس بقدر ما كان الهدف هو ربط النص بحالات وأوضاع محددة داخل الطائفة التى نبع التفسير بين ظهرانيها.

وفىما يتعلق بـ (دليل النظام)، أو (وثيقة الطائفة)، أو (لائحة المجتمع) التى تم اكتشافها ضمن ما اكتشف في كهف قمران الأول فإنها آلت إلى "المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية" في قطعتين منفصلتين على ما اكتشفت عليه في الكهف. وكانت كل منهما ملفوفة لوحدها.. وعندما تم وصلها أغلقتا لفاقة من خمسة دروج من

الرقوق مخاطة معًا. وكان طول اللقافة الكلى ستة أقدام تقريبًا، بينما بلغ العرض تسع بوصات ونصف وبداية المخطوط مفقود وبالحسابات الدقيقة يكون الطول الحقيقي لللقافة هو سبعة أقدام.

وقد كتبت المخطوطة بخط واضح وتحمل التمزقات البسيطة التي نتجت عن التداول والاستعمال على نحو ما لسناء في لقافة عيسايا الكبرية. وكانت المخطوطة في بداية اكتشافها هشّة ولكن تمت تقويتها وأصبحت في حالة جيدة وكتبت محتويات الوثيقة في أعمدة بالطريقة المعتادة وأسلوب الكتابة لم يختلف كثيرًا عن عمل الناسخ الذي نسخ لِقافة عيسايا الكبرية. ويصل عدد الأعمدة في نص (دليل النظام) أو "لائحة المجتمع" إلى أحد عشر عمودًا في النسخة العبرية مع متوسط ٢٦ سطرًا في العمود. وقد أكل النمل الأبيض سطرًا أو سطرين من أسفل معظم الأعمدة وبخلاف ذلك لم يكن هناك تلف في النص إلا أنه يفتقر إلى عنوان أصلي.. وكان من بين قطع المخطوطات التي توالى ورودها إلى متحف فلسطين عمودان كاملان من نص اللائحة يتيميان إلى مخطوطة (لائحة المجتمع)؛ وقد جاء من كهف قمران رقم ١ أيضًا وكان ثمة تلف في نهاية العمود الثاني ومن ثم صعب علينا أن نقرر ما إذا كانت القطعتان (كل منهما تضم عمودًا) إذا ضمتا معًا تمثل سياقًا متصلًا أم لا. وأكثر من هذا فهناك شك حول ما إذا كان العمود الأول فعلاً يمثل بداية الوثيقة كلها.

وتعتبر (لائحة المجتمع) أهم مصدر للمعلومات والمعرفة المتعلقة بطبيعة المجتمع الديني الذي عاش في قمران. وتكشف هذه الوثيقة عن أن هذا المجتمع كان يتألف من مجموعة من الكهنة (القساوسة) والعامة الذين عاشوا حياة مجتمعية في تكريس مباشر لله وتبدأ اللقافة بعبارة أو بيان موجه بما يجب عمله من جانب هؤلاء الذين يرغبون في "الدخول إلى الدير" واتباع ذلك بصيغة الشعيرة الطقسية. ويفهم من اللائحة أن كل عضو في المجتمع يجب أن يجدد عهد الطاعة سنويًا. وفي ذلك الوقت يتم تكديره بالتقائص التي تستوجب استبعاده من مراتب الأخوة.

وفي وسط العمود الثالث من النص العبري نجد قسمًا خاصًا يتعلق بطبيعة المرء

ويعدد منبع وأصل الخطيئة وكيفية تدبيرها. ويعتبر العمود الخامس بداية القواعد التي تحكم تنظيم المجتمع الصحيح. وبهذه القائمة من القواعد التي تشغل خمسة أعمدة كاملة يكتمل المخطوط مع مساحة لمزور تكريس ختامى.

وفيه من اللائحة بوضوح شديد أن أعضاء المجتمع متأثرين بقوة شديدة وتمسكين بأنهم (إسرائيل الحقيقية) وهم في انظار تأسيس الحكم الإلهى على الأرض. وإلى أن يتحقق ذلك ويصبح حقيقة أتبعته الطائفة نظامًا صارمًا تحت قيادة كبار السن والكهنة وانغمست في دراسات متصلة للكتاب المقدس وانخرطت في عبادة روحية.

أما فيما يتعلق بترانيم تقديم الشكر التي جاءت مخطوطتها أيضًا من كهف قمران رقم ١ فقد كانت في أربعة أقسام منفصلة عندما أغلها الكهف واشتراها البروفيسور سوكنيك وكانت الأقسام الثلاثة الأولى قد حزمت معًا بطريقة عادية بينما استعصى القسم الرابع على الفرد والفض لبعض الوقت. ويذكر الثقة الذين اشتغلوا على تلك اللقافات أن جلد تلك الترانيم قد تحدى الزمن والطبيعة رغم أن بعض مواضع الوثيقة كانت في مرحلة متقدمة من التحلل وسهلت قراءتها بعد تصويرها بالأشعة تحت الحمراء. وبعد وصل القطع الأربع من الوثيقة معًا، أعطت الشكل الأصلي للوثيقة والذي ضم خمسة عشر عمودًا بطول ١٢ بوصة وكان متوسط عدد السطور في العمود ٣٩ سطرًا وجرى تخمين الطول الاصلى الاول للوثيقة بنحو سبعة أقدام ونصف.

وقد كتبت الترانيم بخط يقارب خط مخطوطة (عيساياة الكبيرة) ولكن الدراسة الباليوجرافية كشفت عن احتمال اشتراك اثنين من الخطاطين في نسخ المخطوطة وتصحيح بعض أخطاء النسخ. ويبلغ عدد مقطوعات الترانيم عشرين مجموعة وتعكس تقاليد مجتمع قمران وتبدأ غالبية المقطوعات بالشكر الشخصى لله، ومحتوياتها بعد ذلك تشير إلى ارتباط واضح مع مزامير الكتاب المقدس وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة الشخصية القائمة بين العبد والله.

هذه الترانيم تعكس نمطين متميزين من كتابة الشعائر سادا طيلة قرنين من

الزمان وربما أكثر قبل الحقبة المسيحية. هذان النمطان هما: ترانيم تقديم الشكر التي تبدأ بعبارة الشكر لله وتلك التي تبدأ بصيغة التبريك التي تفتتح المزمور أى الترنيمة. ورغم الاعتماد الواضح على الموروثات الفكرية العبرية والأوجارينية فإن هذه المقطوعات الشعرية كانت هى التعبير الأصيل عن الجماعة الدينية التي عاشت في قمران.

ومن أمثلة هذه الترانيم التي جاءت في مخطوطة الشكر:

"أنا شاكر لك يا الله

"لأنك لم تتخل عنى رغم أننى أعيش

"كسكن مؤقت بين أمة وشيعة

"ولم تؤاخذنى بذنوبي

"بل أنقذتنى من الهلاك".

ومن المزامير البندكتية نقتطف:

"إنك مبارك يا الله

"فأنت لم تتخل عن اليتيم .. ولم تمقت الفقير

"إن قدرتك لا حدود لها ومجدك ليس له قياس".

ولقد أشار بعض الباحثين إلى أن (المعلم الحق أو المستقيم) كان هو مؤلف هذه الترانيم حيث وردت الإشارة في إحدى الترانيم إلى معلم الشريعة المحاط بالكثير من الأعداء.

أما سفر لاميش الذى تم استخراجه أيضًا من الكهف رقم ١ فقد كان الوثيقة التي طال صبر الباحثين في انتظارها وهى تمثل المخطوطة الرابعة الأخيرة التي اشتراها كبير الأساقفة صموئيل والتي أخذها معه إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٤٨ وقد استعصت هذه المخطوطة على كل محاولات الفرض والفرد في الولايات المتحدة. ولأن كبير الأساقفة كان في ذلك الوقت قلقا بسبب تآكل القيمة المالية للمخطوطات فقد أصر على استرداد المخطوطات الأربعة إلى حوزته. وعندما

وصلت المخطوطات الأربعة إلى دولة اسرائيل سنة ١٩٥٤ هناك فقط جرت محاولة ناجحة لفض وفرد تلك المخطوطة و قراءة ما بها من محتويات.

عند فحص هذه اللقافة اكتشف أنها كانت في حالة سيئة من الحفظ وتطلبت كل مهارة وصبر البروفيسور جيبيركروت الذى استطاع فض اللقافة وإعادة بنائها. ومن الحالة العامة للوثيقة يمكن أن نكتشف أنها تعرضت للاستخدام فترة طويلة من الزمن ويمكن تخمين أنها لم تحفظ في آنية فخارية ولسبب تعرضها لظروف المناخ وأكل الحشرات يمكننا القول بأن المخطوطة كانت ملقاة لفترة طويلة على جانب واحد منها على الأرض قبل اكتشافها ولم تتحسن حالتها السيئة بعد ذلك بسبب تعرضها لدرجات متفاوتة من الحرارة والرطوبة ونقلها من بلد لآخر عبر سبع سنين قبل أن تستقر في مئوآها الأخير.. فى إسرائيل.

وبعد إنتهاء فض اللقافة انكشفت الحالة السيئة التى كانت عليها فقد كانت هناك ثقب عميقة وتجمعات ومواضع غير مقروءة وخاصة على جوانب اللقافة. ويسبب تلك الصعوبات المادية كانت هناك صعوبات أيضا بالغة فى قراءة المخطوطة.. وقد صدر تقرير مبدئى عن محتويات المخطوطة سنة ١٩٥٦ يحمل إلى مجتمع الباحثين المعلومات التى طال انتظارها حول هذه المخطوطة ومحتوياتها.

ولما كانت المخطوطة فى حوزة الباحثين الأمريكيين فقد فحص تريفيز قطعة منفصلة عن المخطوطة وقرر أنها المخطوطة المفقودة منذ أمد طويل ومن إشارة إلى لاميش وزوجته بات - إينوش، واستخلص أنها السفر الأبوكرافى (سفر لاميش) وبسبب هذا الرأى عرفت اللقافة بين الباحثين بهذا العنوان. ولكن بعد مزيد من البحث والتدقيق اتضح أنها صيغة آرامية لعدة فصول باكرة من "سفر التكوين" تتعلق أساسا بحياة وتراجم البطارقة ويتفق فى طبيعته مع السفر الأبوكريفى (سفر اليوبيل). ومن ثم يكون إطلاق الإسم لاميش قد جاء عرضا ولمجرد الإشارة للغرض الأكبر من العمل الذى ما يزال حتى الآن مجرد تجميع لفصول مختارة من سفر التكوين محتذياً بذلك أسلوب الكتابات الأبوكريفية.

وقد ركز التقرير المبدئى بصفة أساسية على الأعمدة الثلاثة الأخيرة من

المخطوطة التي كانت حالتها سليمة وأفضل كثيرا من الأعمدة الأخرى. كما عنى التقرير بالعمود الرابع من النهاية التي عنيت بسرد الأحداث من سفر التكوين وكذلك عنى التقرير بالعمود الثاني الذى تضمن الإشارة إلى لاميش وربما نشر حتى تتضح الصلة.. والتأمل في هذه المخطوطة سيجد أنها أعدت بنفس الطريقة التي أعدت بها سائر مخطوطات قمران فقد دونت الكتابة على الجانب الذى فيه الشعر من الجلد تحت خطوط السطور بخط واضح شبيه بخط الوثيقة العسكرية (كتاب الحرب) مع ترك مسافات معقولة بين الكلمات وخلو من أخطاء النسخ. ولقد تكون المخطوط في البداية من أربعة دروج أو أفرخ، وعلى الرغم من عدم وجود بداية ونهاية النص فإن من الممكن تقدير حجم هذه اللقافة الذى يعتقد إنه كان تسعة أقدام طولاً في قدم واحد عرضاً. وقد قرر الدكتور بيركروت أن الحبر المستخدم في كتابة اللقافة ساعد على تحلل اللقافة نفسها حيث تفاعل مع بعض مواضع الجلد وتسبب في انطماش الحروف في النص؛ بينما في مواضع أخرى تآكل الجلد تماماً وتسبب في حدوث ثقب في اللقافة. ويبدو أن الحبر كان يحتوى على مادة حمضية تفاعلت مع الجلد وأضعفته.

وباستعراض بعض محتويات هذه اللقافة سوف نجد أن العمود الثانى يحتوى على ستة وعشرين سطرا ويحكى قصة لاميش على لسانه، بينما العمود الخامس عشر والسابع عشر يحكيان قصة تقسيم الأرض بين أبناء نوح في حين يتناول الفصل الثامن عشر قصة إبراهيم في أور - وحران. ولعل أكمل الأعمدة كانت الأربعة الأخيرة (من ١٩ - ٢٢) وحيث يتناول العمودان الأولان (١٩، ٢٠) الأسباب التى دعت إبراهيم إلى أن يطلب من سارة إخفاء هويتها أمام الفرعون والأحداث التى وقعت بعد استقبالها في القصر الملكى. والعمودان الباقيان (٢١ و ٢٢) يحكيان رحلات إبراهيم في أرض كنعان وحرب الملوك الأربعة وهزيمتهم.

أما فيما يتعلق بلقافة الحرب أو اللقافة العسكرية أو لائحة الحرب فقد نشرها سوكنيك تحت عنوان (حرب أبناء النور مع أبناء الظلام) وباستثناء بعض تحلل الحافة السفلى فقد وصلتنا سليمة تماماً وربما كانت الوحيدة التى احتفظت بالغلاف

الخارجى وعندما تم فردها وفضها كانت تبلغ تسعة أقدام طولاً وأكثر من ست بوصات عرضاً. وقد شغل النص أربعة دروج (أفرخ) في ١٨ عموداً هذا إلى جانب بقية من عمود من فرخ خامس يكمل الوثيقة. وكان الخط واضحاً والكتابة منهجية قريب الصلة بخط أبو كريفنا سفر التكوين أقرب من أى مخطوطة أخرى خرجت من قمران.

وكان تفرغ نص المخطوطة، قد ترك ثغرة في النص وجدناه في الجزء الثانى من المخطوطة وقد تسببت بعض الثغرات في إعادة بناء النص إعادة تعسفية. وتتناول المخطوطة بطريقة إيمانية سلوك المعركة الحربية بين "أبناء النور" الذين يتألفون من قبائل ليفى وجوداه وبنيامين وبين "أبناء الظلام" الذين يتكونون من أعداء إسرائيل ومن بينهم: الفلسطينيون، واليونانيون والقدوميون والمؤابيون والعمونيون. وهناك مقدمة قصيرة تناول الصراع القادم ثم اتبعت بقائمة باتجاهات المعركة ثم الصلوات والشكر التى يجب على أبناء النور أن يرتلوها في كل وقت. وقد رأى بعض الباحثين في هذا الكتاب انعكاساً للصرعات التى كانت دائرة والهزيمة العسكرية التى منيت بها إسرائيل والكنعانيون على أيام جوشوا، بينما رأى فيها آخرون نوعاً من التشابه مع الطرق الرومانية في إدارة الحرب. ويرى البعض الثالث أنه لم يكن هناك في ذلك الوقت أى صراع عسكري حقيقى أو رؤيا لأرامجيدون عندما تمت كتابة هذه المخطوطة.

وفىما يتعلق بقطع مخطوطة سفر دانييل التى أغلها الكهف رقم ١ في قمران ووقعت في حوزة كبير الاساقفة صموئيل فقد كان عددها ثلاث قطع وتوفر البروفيسور ج. إ. رايت على وصفها على النحو الآتى:

"بين أكوام قطع الجلد المتبلدة كانت هناك ثلاث قطع من سفر دانييل إلى جانب قطع أخرى عديدة من كتابات دينية عبرية. ومن الطريف أن قطع دانييل الثلاث تنتمى إلى مخطوطتين مختلفتين، واثنان منها تقرب باليوجرافيا من لفافة عيساياة الكبيرة، بينما الأخرى تشير إلى حد كبير خط حبقوق. وثمة قطعتان من نفس العمود وتحملان أجزاء من دانييل بالأرامية بينما القطعة الثالثة تحمل أجزاء من

عمودين من دانييل. وإحدى القطعتين تبلغ  $4,5 \times 4$  بوصة وزميلتها من نفس العمود تبلغ  $2,5$  بوصة مربعة؛ والقطعتان معًا تشيان بأن العمود كان يبلغ ست بوصات عرضًا. أما القطعة الثالثة فتبلغ  $3 \times 5,5$  بوصات وكان عرض الأعمدة يقل عن  $4$  بوصات. والنص هو نفس النص العبري المعياري (النص المازوري) وربما كان الخلاف هو فقط كما الحال في مخطوطة عيساياة في هجاء الكلمات. كان هذا استعراضًا لأهم ما أغله الكهف رقم ١ في قمران.

وقد يكون من المفيد أن نستعرض بعد ذلك أهم ما أغلته بقية الكهوف التي اكتشفت بها مخطوطات أو قطع مخطوطات. ذلك أن الكهف رقم ٢ قد أغل نحو ٢٠٠ قصاصة مخطوطة توفر متحف فلسطين على شرائها هو ومدرسة دراسة الكتاب المقدس. وكانت الكتابات القانونية (الشرعية) في هذه المجموعة تمثل أقسامًا قصيرة من أسفار: جيريمياه، روث، المزامير وبعض أشعار موسى. ومن بين هذه الأخيرة قطعة من ليفيتيكوس بالعبرية قريبة الشبه بتلك التي كشف عنها الكهف ١، وأثبتت هذه القطعة أنها ذات أهمية خاصة بسبب شكل الخط القديم الذي كتبت به. وكانت الكتابات الخارجة عن الكتابات المقدسة تمثل قسمًا كبيرًا من غلة هذا الكهف وكانت في الأعم الأغلب كتابات إيبانية تتعلق بالآخرة أو دفع مطاعن الوثنية أو الحركات الميزانية. وبين تلك القصاصات قطعة سفر اليوبيل بالعبرية شبيهة بقطعة سفر اليوبيل التي وجدت في الكهف رقم ١.

وتذكر المصادر الثمّة أن الكهف رقم ٣ والذي يقع على بعد ميل واحد شمال الكهف رقم ١ قد أغل عددا كبيرًا من قطع المخطوطات وكان الولوج إلى تلك المخطوطات صعبًا لأن السقف قد أنهار على ما فيه منذ زمن بعيد ولكن في النهاية أغل الكهف عدة مئات من قصاصات المخطوطات المختلطة. ومن بين قطع الكتاب المقدس نجد أقسامًا محدودة عبارة عن شروح وتفاسير للسطور القليلة الأولى من عيساياة مع قطع من سفر الأحزان وسفر التكوين... ومن مخطوطات الأبوكريفا نجد أجزاء ممزقة من الترانيم. ودليل الطائفة وعدة نصوص وثنية بالعبرية والآرامية. ولعل أخطر ما تم كشفه في الكهف ٣ هو لفافات من النحاس

الأحمر وقد أفلتا من التلف الذى حاق بالمخطوطات الأخرى فى الكهف فى العصور القديمة. وكانت إحدى اللفافات تقع فى قطعتين. وفى الأصل تبدو الشرائح أنها كانت منفصلة ثم رقت معاً لتشكل درجاً (فرخاً) معدنياً. ويبلغ طولها ثمانية أقدام وعرضها قدمًا واحدًا. وقد حفر الحُط على سطح اللفافة وعندما تم طي اللفافة طوى السطح المكتوب للداخل؛ وعندما اكتشفت اللفافات كان النحاس قد تأكسد بالكامل مما ألقى صعوبات بالغة أمام فض اللفافيتين. وعند إتمام عملية الفحص والفرد كان البروفيسور كوهن من جامعة جوتنجن قد فحص الشكل الخارجى لللفافات سنة ١٩٥٣ واستطاع قراءة بضع كلمات وفهم منها أن اللفافة مخصصة لتحديد الأماكن وكميات الكنوز التى خبأها مجتمع قمران الدينى بعد مغادرتهم الموقع. وقد اختلفت وجهة النظر هذه مع تلك التى اعتتمها الدكتور ف.م. كروس وغيره حيث اعتقد أن الوثيقة كانت معلقة على الحائط فى مبنى مركز المجتمع وربما تكون قد تضمنت قواعد سلوك عامة للمجتمع وربما بعض المعلومات الرسمية الأخرى.

وقد أجريت بعض الاختبارات المعدنية فى جامعة جونز هوبكنز بهدف إذابة الأوكسيد وتحويله إلى نحاس مرن ولكن التجارب فشلت. وأجريت تجارب مماثلة فى بريطانيا ولكنها فشلت أيضًا وكان الحل هو تقطيع اللفافيتين إلى شرائح. وبالفعل تم نقل اللفافات إلى بريطانيا ١٩٥٥ و١٩٥٦ وعهد إلى البروفيسور ه.و. بيكر بالقيام بهذه المهمة وكان الرجل أستاذًا فى كلية ما نشستر للتكنولوجيا. وبعد تصوير النص فوتوغرافيا بالأشعة تحت الحمراء، أعيدت اللفافات إلى عمان الأردن فى إبريل ١٩٥٦.

وعندما تمت قراءة محتويات المخطوطات أثبتت نظرية البروفيسور كوهن صحتها، إذ أنه بعيدًا عن قائمة تعليقات المجتمع فهست المخطوطات نحو ستين كترًا تضم أموالاً طائلة مخبأة فى أماكن محددة موزعة على كل أنحاء يهوذا القديمة ووصفتها وصفًا دقيقًا. ولسوء الحظ لم تتمكن من العثور على هذه الكنوز وخاصة

تلك المرتبطة بأوقاف المعبد في القدس. وفي قناعتى أن السبب في ذلك هو تغير أسماء الأماكن والمواقع عبر القرون (أكثر من عشرين قرنًا) والانطياس المعالم. والاقْتباسات الآتية من هذه اللقافات قد تفتح الشهية:

- في الصهريج الكبير الذى فى ساحة البريستيل، وفى منخفض فى قاعها تم تحبئة ثمانائة تالنت فى حفرة قبالة الفتحة العليا.
- فى الصهريج الذى تحت المتراس فى الجهة الشرقية وفى مكان تم تجويفه فى الصخرة هناك ستائة بارة من الفضة.
- بالقرب من وتحت الركن الجنوبى من الممر وعند مقبرة زادوك وتحت العماد فى القاعة الكبرى هناك وعاء للبخور من خشب الصنوبر ووعاء للبخور من خشب السنأ.

ومن هذه الأوصاف يتضح أن مؤلف الكتاب قد صنف المواد أولاً حسب المواضيع العامة ثم المواضيع الخاصة وعمق المخزن وسعته بالذراع (الذراع ١٨ بوصة) وكمية وطبيعة الكنز. وقد توفر عدد من الباحثين على دراسة حجم هذه الكنوز كلها فكان مجموعها يساوى ستة آلاف تالنت (وحدة نقد رومانية قديمة) أو ما يساوى طنين من الذهب والفضة (٢٠٠٠ كجم) وقد أثار هذه اللقافات الجدل حول حقيقتها ومدى واقعيها خاصة أن المجتمع الذى أفرزها كان مجتمعا فقيرا متقسما فكيف يتأتى له أن يكتنز هذه الأطنان من الذهب والفضة ويرى البعض أنهم قد ورثوها عن أجدادهم الاسرائيليين أو أن هذه المبالغ كانت قد فقدت من الأجداد. وأيا كان الأمر فإن بعض الباحثين يرون أن هذه الثروة حقيقية بدليل أن اللقافات كتبت على عجل من حيث حفر الحروف وتم لف اللقافات على عجل وتم تفصيلها على عجل وعلى يد شخص غير ماهر مما يدل على أن اللقافات كتبت وأعدت فى فترة طوارئ ربما سنة ٦٨ م وأيا كانت القيمة التاريخية لفهرس الكنوز هذا فإن النص نفسه ذو أهمية لأنه كتب فى القرن الأول الميلادى باللهجة العامية وليس بالعبرية الفصحى (عبرية الكتاب المقدس). وحتى وقت قريب لم تكن تلك العامية مستخدمة إلا فى بعض الكتابات اليهودية الدينية التى كانت

المشناة أقدمها، ولكن الآن أصبحت لفافات النحاس من قمران أقدم من المشناة في هذا الاستخدام.

لقد وقع في أيدي البدو المجدلين في أغسطس ١٩٥٢ فيض غير متوقع من قطع المخطوطات قبل الإعلان عن اكتشاف هذا الكهف، وقد قاموا ببيعها وتوزيعها على نطاق واسع. وقد أدانت مصلحة الآثار الأردنية هذا السلوك البدوي غير المشروع واستولت على الموقع في سبتمبر ١٩٥٢ واعتبرته ضمن نطاقاتها والكهف الذي نقصده هنا هو كهف قمران رقم ٤ والذي يقع على السطح الطيني في مركز المجتمع وعلى مرمى حجر من الأطلال نفسها وكما ألمعت استجابت الجمعيات والمؤسسات العلمية حول العالم لنداء الحكومة الأردنية وقدمت معونات لا حدود لها مما يساعد على شراء قطع المخطوطات التي وقعت في أيدي البدو. هذه القطع والقصاصات التي جمعتها الفرق الأثرية الرسمية كشفت عن أن هذا الكهف (قمران ٤) كان في وقت من الأوقات يضم أكثر من ٣٠٠ مخطوط ثلثها على الأقل يحتوي على كتابات مقدسة. هذه المخطوطات وصلتنا في عدة آلاف من القطع والقصاصات، نشر بعضها تباعاً مع عقد الستينات من القرن العشرين.

وبصرف النظر عن سفر إيثر فقد مثلت سائر أسفار الكتاب المقدس العبرى في هذه القطع المخطوطة وربما بعدة نسخ. أما عن الكتابات التاريخية فقد كان من بين تلك القطع مخطوطات حول: القضاة، صمويل، الملوك. وكانت هناك قطع عديدة من (عيسايا) والمزامير، أسفار موسى والأنبياء الأصاغر والكتابات خارج الكتاب المقدس مثل سفر إينوخ، عهد ليفى، كتاب توبيت، لائحة المجتمع، وثيقة دمشق. ولكن كلها كانت مقطعة وكان من بين هذا الفيض من القطع المخطوطة شروح وتفسير للكتاب المقدس، كتابات طقسية وشعائرية، كتابات خاصة بسفر الرؤيا والنصوص المزورة أو المقلدة.

وبينما كان التنقيب والكشف يجري هنا على قدم وساق كان هناك اكتشاف لكهف أبعد هو الكهف قمران رقم ٥ الذي اكتشفه الأثريون الرسميون ولم يسبقهم إليه البدو ووجدت فيه مجموعة من القطع مفككة تمامًا، وبعد الفحص المبدئي لهذه

القطع في نهاية ١٩٥٣ وجد بينها قطع من سفر تثنية الاشرع إلى جانب قطع من الملوك ١، سفر الأحزان وكان هناك كتاب إيماني حول الأحوال الأخروية كتب بالآرامية واتخذ عنوان (وصف الحياة في القدس الجديدة) وقد عثر عليه في هذا الكهف: قمران رقم ٥ على هيئة شرائح مفككة، وكان شبيها بالقطع الأخرى من نفس العمل والتي عثر عليها في كهوف أخرى في قمران.

وفي الكهف رقم ٦ قمران الذي اكتشفه البدو بالقرب من فم أو رأس الوادي تم العثور على عدة مئات من القطع المخطوطة على جلود ويردى من بينها كمية محدودة من الكتاب المقدس من سفر التكوين وعهد ليفيتيكوس كتب بخط عبري قديم، كما عثر على أجزاء من أسفار الملوك، وخمس قطع من سفر دانييل. وقد مثلت الكتابات غير المقدسة بقطعة صغيرة من وثيقة دمشق وعدة كتابات من سفر الرؤيا، وقطعة من إينوخ أو عدة نصوص آرامية.

وفي خمسة اكتشافات متوالية (٧-١١) في وادي قمران أغل الكهف رقم ١١ قمران في مطلع ١٩٥٦ عدة مخطوطات في حالة ممتازة من الحفظ.. وربما كان كتاب المزامير هو الوحيد بين هذه المجموعة الذي به بعض التلف، بينما قطع من سفر دانييل من كهوف أخرى قد استكملت على غير توقع بمخطوطتين من دانييل من هذا الكهف. وكان لاكتشاف ترجمة آرامية لسفر أيوب في حالة مفككة ذا أهمية خاصة ذلك أن الكتيب التلمودي (شَبَّاث) قرر أن هذه الترجمة وقعت فقط في القرن الأول الميلادي. وطبقاً لهذا الاكتشاف يكون العالم جماليل قد أمر بهذه الترجمة ووضعها داخل "المعبد الثاني" حين تمت توسعته في عهد هيرودس.

وكانت المخطوطات التي تم اكتشافها في كهوف وادي المربعات في الشهور الأولى من ١٩٥٢ ذات طبيعة مختلفة ونظام مختلف عن تلك التي تم كشفها في كهوف قمران. وحيث جاءت كل مخطوطات وادي المربعات من الكهف الثاني (مربعات ٢) وقد مثلت صعوبة شديدة في تحقيقها لأن البردى والجلد الذي كتبت عليه تلك المخطوطات ربما تقلص إلى خرق وأسفال بفعل القوارض والطيور.

وعندما تم تحقيق هذه المخطوطات أتضح أنها ترجع إلى القرن الثاني الميلادي وكتبت باليونانية والعبرية والآرامية. ويرى الثقة أنه ربما كان أهم عمل خرج من وادي المربعات هو طرس بردى مكتوب بخط عبري قديم يرجع إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلادى، ويسبق ذلك الخط الذى كتبت به (شقاقة لاكيش) والتى كان ميليك قد أرخها بالقرن الثامن قبل الميلاد. والنص الجديد الذى يجمله هذا الطرس عبارة عن كشف بأسماء، وأرقام وبعض علامات ، بينما كانت الكتابة الأصلية المحورة بمهارة عبارة عن خطاب تحية من نوع الاخوانيات. ومخطوطة بهذا القدم هى شيء خرافى واكتشاف غير متوقع من بلد مثل فلسطين وحيث الظروف المناخية غير موالية بالمرة وحتى لو اتخذت كافة احتياطات الحفظ.

ومن بين مكتشفات وادي المربعات كانت هناك قطع من أسفار موسى الخمسة وسفر عيساياه كلها مؤرخة بالقرن الثاني الميلادى وهى ذات أهمية خاصة بسبب تطابقها الشديد مع النص المعيارى المازورى. وكانت هناك بعض الكتابات غير المقدسة باليونانية على بردى ساعدت على تأريخ هذا الفيض من القطع المخطوطة. ومن بين القطع المخطوطة التى وجدت فى حالة سيئة ولكن لها قيمة اجتماعية ودينية عقد زواج أرخ بالسنة السابعة من حكم هادريان أى ١٢٤ م. ولقد ألفت مخطوطات وادي المربعات المزيد من الضوء على تلك الفترة من التاريخ الفلسطينى وحيث وجد من بينها بعض البرديات العبرية التى كتبها سيمون بن كوخبا قائد الثورة اليهودية الثانية سيئة الحظ (١٣٢ - ١٣٥ م) إلى قواته الفدائية فى وادي المربعات. ذلك أن بن كوخبا ثار ضد الرومان سنة ١٣٢ م واعتبره اليهود فى يهوذا المسيح المنتظر أو بمعنى أدق المسيح الذى طال انتظاره. وقد رأى فيه الربابينى أكيبا بصفة خاصة الذى كان أهم سلطة دينية فى ذلك الوقت، رأى فيه النجم المنير فى سماء يهوذا والذى تنبأ بظهوره بلعام منذ عدة قرون سابقة لكى يخلص إسرائيل. وبسبب ذلك التعريف أطلق عليه الأنصار (سيمون بن كوخبا) وأطلق عليه خصومه الذين اختلفوا حول كونه المسيح المنتظر سخرية وتهكما (سيمون بن كذبة).

ويمكن ترجمة أحد تلك الخطابات التي بعث بها الرجل إلى قواته على النحو الآتى:

"من سيمون بن كوسيباه إلى يشوا بن جالجولاه وإلى رجال صحبتك، تحياتي. إننى أدعو السماء أن تشهد ضدى إذا كان واحد من أهل الجليل الذين قمت بحمايتهم، يسبب أى اضطرابات فسوف أضع القيود فى قدميك كما فعلت مع بن - أفلول.. سيمون بن - كوسيباه".

ومن هذا الخطاب وغيره يعرف أن اسمه الحقيقى هو "بن - كوسيباه" وأن الأسمين الآخرين هما تلاعب فقط بالصفات. وهناك خطابات أخرى من نفس الفترة كتبت بالخط اللاتينى المضلع (المدور) تدل بها لا يدع مجالاً للشك أن الرومان كانوا قد أحكموا قبضتهم على وادى المربعات بعد احتلالهم له. وقد وصلتنا قطع من الكتاب المقدس من كهف وادى المربعات ٢ فى حالة سيئة ولكنها قاومت لتقول لنا بوضوح أن مخطوطات سفر التكوين وسفر عيساياه وسفر تثنية الإشتراع وسفر الخروج كانت من بين المخطوطات الشائعة فى كهوف وادى المربعات. ولقد أفلتت إحدى التهامم (التعاويذ) من التلف ووصلتنا كاملة وأثبتت أن هناك تشكيلة متأخرة مختلفة عن قطع التهامم (التعاويذ) التى وصلتنا من كهوف قمران. وحقيقة أن هناك خطابات وصلتنا من هذا الموقع مكتوبة بالعبرية إنما تدل على أن هذه اللغة كانت ما تزال مستخدمة كلغة حية فى مطالع القرن الثانى الميلادى؛ وذلك مما يدحض القول بأن اللغة العبرية غدت لغة ميتة قبل ذلك التاريخ بعدة قرون.

أما قطع المخطوطات التى تم كشفها فى خربة مرد على يد البعثة الأثرية البلجيكية فى مطالع ١٩٥٣، على بعد ثلاثة أميال شمال شرق دير (مار سابا) الدير المسيحى القديم بالقرب من بيت لحم، هذه القطع كتبت بالعربية، والسوريانية، واليونانية، وكان من بينها مواد مسيحية - وقد أغل هذا الموقع قطعاً من مخطوطات الكتاب المقدس ولكن جميع المخطوطات التى تم كشفها هنا متأخرة فى تاريخها عن كل من مخطوطات وادى قمران و وادى المربعات وترجع إلى العصر البيزنطى المتأخر والعربى الباكر. ومن نفس خربة مرد ولكن دون تحديد للمكان جاءت

بعض المخطوطات البردية وهي أساسًا عقود نبطية ويهودية. وإحدى هذه الوثائق يحمل تاريخًا سجل على النحو الآتي (السنة الثالثة من حرية إسرائيل) ويقدره الباحثون بسنة ١٣٥ م وهي السنة الأخيرة للثورة اليهودية الثانية.

وربما كان من المخطوطات ذات الأهمية والتي وجدت هنا في خربة مرد قطعة مخطوط على جلد من سفر الأنبياء الأصاغر مكتوبة باليونانية، نشرت جزئيًا على يد بارتليمي سنة ١٩٥٣. وقد كتبت بخط الأونسيال الجميل. ويشتمل هذا المخطوط على أجزاء من أسفار: ، جوناه، ناحوم، حبقوق، زيفانياه، زكرياه وتم تأريخه بالقرن الأول الميلادي. ويرى الثقات أن لهذا المخطوط أهمية خاصة في دعم تأريخ ومراحل إعداد الترجمة السبعينية.

وسوف نتناول في فصول تالية من هذا البحث بعض اللقافات لأهميتها بشيء من التفصيل.

\* \* \*